إِلَىٰ أَخِيْ

خَطِيْبُ الجُمُعَة

(خواطر ونصائح)

بقلم الفقير إلى عفو ربه

أبي إسحاق محمود بن أحمد الزويد

(غفر الله له ولوالديه وعامله بلطفه)

إلى أخي

خطيب الجمعة

(خواطر ونصائح)

بقلم الفقير إلى عفو ربه

أبي إسحاق محمود بن أحمد الزويد

غفر الله له ولوالديه وعامله بلطفه

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداءٌ لكلِّ مسلم

المقـدمـة

إنَّ الحمـدَ للهِ نحمـدُهُ، ونسـتعينُ بـهِ، ونسـتغفرهُ، ونعـوذ بالله مـن شـرور أنفسـنا، ومـن سـيئات أعمالنـا، مـن يهـده الله فـلا مضـل لـه، ومـن يضـلل فـلا هـادي لـه، وأشـهد ألا إلـه إلا الله وحـده لا شـريك لـه، وأشـهد أنّ محمـداً عبـده ورسوله صلى الله عليه وسلم

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]

أمّا بعد: فإنّ أصدق الحديث كلام الله، وأحسن الهدي، هدي محمّدٍ صلى الله عليه وسلم، وشر الأمورِ محدثاتها، فإنّ كلَّ محدثةٍ بِدعة، وكلَّ بِدعةٍ ضلالة، وكلَّ ضلالةٍ في النَّار:

فإنَّ من أعظم نعم الله تعالى على عبده أنْ يستخدمه في إرشاد عباده، فيعلِّم جاهلهم، ويذكّر ناسيهم بأحكام الدين، ومسائل الفقه وغيرها من المهمَّاتِ المتحتِّمات. كما أنَّ الواجب الشرعي على حملة العلم، جعلني الله منهم، أن يُبلِّغوا هذا الدَّين وأن يعلموا الناس أحكامه ومقاصده، فإنَّه من الأمانة التي سوف يُسأَلون عنها، وهو الميثاق الذي أخذهُ الله على أهلِ العلم،

فبدَّله أهل الكتاب، وأكرم الله به أهل العلم من هذه الأمَّة فحافظوا عليه، وعلَّموه ونشروه ممتثلين قول النَّبي صلى الله عليه وسلم، كما صحَّ عنه "بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار"(١)

---

١ –هذا الحديث روي عن عدد من الصحابة وله طرق، وسوف أذكر من رواه ما أستطيع إلى ذلك سبيلاً فهو عمدة في وجوب التبليغ وفي جواز الرواية عن بني إسرائيل؛ ولكن مع التحرز عن المكذوب والمدسوس.

فمن رواه باختصار:

الشافعي، كما في "مسنده"/سنجر. "(١٨١١)"، والحميدي في "مسنده"، "(١١٩٩)"، وأحمد في "مسنده"، "(١٠١٣٠)"، وأبو داود في "سننه"، "(٣٦٦٢)"، وابن حبان في "صحيحه"، "(٦٢٥٤)"، وهو في "المخلصيات"، "(١٣٣٣)" من رواية أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ورواه النسائي في "الكبرى"، "(٥٨٤٨)"، وابن شيبة في "الأدب"، "(٢٠٨)"، من رواية أبي سعيد رضي الله عنه.

ورواه أحمد في "مسنده"، "(٦٤٨٦)"، والبخاري في "صحيحه"، "(٣٢٧٤)"، والطبراني، في "الشاميين"، "(٢١٨)"، من رواية عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهم.

بلغوا: تكليف.

وعني: تشريف.

ولو آية: تخفيف.

وقيل: "زكاة العلم تبليغه، ونصابه ولو آية"

قال ابن القيم: "**التبليغ عنه نوعان:**

ورواه أحمد بن منيع، من رواية عبد الرحمن بن سابط رضي الله عنه، كما في "المطالب العالية" لابن حجر، "(٧٧٤)"، ط: العاصمة، وقال البوصيري، في "إتحاف الخيرة"، "(٣٧٥)"، "هذا إسناد مرسل ضعيف؟ لجهالة (ربيعة) بن حسان."

وروى ابن حبان، في "صحيحه"، بلفظٍ آخر، "(٦٢٥٧)"، بسنده عن ابن شهاب، أن نملة بن أبي نملة الأنصاري، حدثه، أن أبا نملة أخبره أنه بينما هو جالس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء رجل من اليهود، فقال: هل تكلم هذه الجنازة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الله أعلم»، فقال اليهودي: أنا أشهد أنها تتكلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم، وقالوا: آمنا بالله وملائكته وكتبه ورسله، فإن كان حقا لم تكذبوهم، وإن كان باطلا لم تصدقوهم» وقال: «قاتل الله اليهود، لقد أوتوا علماً»"

-تبليغ ألفاظ ما جاء به.

-وتبليغ معانيه.

كان العلماءُ من أمته منحصرين في قسمين:

أحدهما: حُفَّاظ الحديث وجَهابذته، ونقَّاده

القسم الثاني: فُقَهاء الإسلام ، ومَنْ دارت الفُتْيا على أقوالهم بين الأنام"[1]

وفي "صحيح مسلم"، من حديث أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من دلَّ على خيرٍ فله مثلُ أجرِ فاعِلِهِ"[2]

---

١ -إعلام الموقعين، "(٢/١٢-١٣)"

٢-رواه مسلم في "صحيحه"، "(١٨٩٣)"، وأبو عوانة في "مستخرجه"، "(٧٣٩٩)" و"(٧٤٠١)"، و"(٧٤٠٢)"، والبخاري في "الأدب المفرد"، "(٢٤٢)"، وأحمد في "مسنده"، "(١٧٠٨٤)"، وابن حبان في "صحيحه"، "(٨٦٧)"، وأبو داود في "سننه"، "(٥١٢٩)"، والترمذي

وفي الأثرِ عن أبي الدرداء رضي الله عنه: "ما تصدَّق رجلٌ بصدقةٍ أحبُ من موعظةٍ يعظُ بها قوماً، فيتفرَّقون وقد نفع الله بها بعضهم"[١]

وعن علي الأزدي قال: "سألت ابن عباس عن الجهاد، فقال لي: ألا أدلك على خير من الجهاد؟ فقلت: بلى، فقال" تبني مسجداً، وتعلم فيه القرآن، والسنة، والفقه في الدين"[٢]

في "سننه"، "(٢٦٧١)"، وقال: "حسن صحيح"، والبغوي في "شرح السنَّة"، "(٣٦٠٨)"

[١] –رواه إياس بن معاوية في "العلم والحلم"، "(ص١٢٣)"، وانظر: الأمالي لابن الحصين، "(١٤)"، و "القصاص والمذكرين" لابن الجوزي، "(٨)"، وذكره شيخ الإسلام كما في "مجموع الفتاوى"، "(٤/٤٢)".

[٢] –رواه إياس في "العلم"، رقم، "(١٢٣)"، "(ص١٢٢)"، ومن طريقه: يعقوب بن سفيان في "المعرفة والتاريخ "، "(٣/٤٠٠)"، وابن عبد البر في "جامع بيان العلم"، "(١٦٠)"

وعن أبي أسامة قال "جزى الله خيراً من أعان الإسلام بشطرِ كلمة"(١)

وقال الحافظ ابن رجب: "أفضل الصدقة تعليم جاهل أو إيقاظ غافل"(٢)

فهذه نصيحة أوجهها إلى الخطيب الذي يريد وجه الله، ونفع اخوانه، فالخطيب الناجح بحق هو:

الذي يريد وجه الله.

ويتبع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وهمه هو نفع الناس.

فمن جمع بين هذه الثلاثة، كان خطيباً ناجحاً بعون الله تعالى؛ وذلك لأن **بعض الناس يظن أن الخطيب الناجح**:

١-الإبانة لابن بطة، "(٣٨/١)"، ط: دار الحديث

٢-شرح حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه، لابن رجب من "مجموع رسائله" "(١٨٦/١)"

هو الذي يكثر من الصياح.

أو الذي يطيل الخطبة، ويكثر من سرد الأحاديث، وهذا خلاف السنة.

وبعضهم يرون أنَّ الخطيبَ الناجح هو الذي يتصنع؛ وكم لهؤلاء من جمهور ومعجبين بهم!! نعم البعض يتصنع في حركاته ويتكلف في كلامه، وهذا خلاف الأولى، فأنبه على بعض ما رأيت وأسأل الله أن يكون ذلك من باب التناصح لا التعيير وتتبع العورات، وأنا إذ أكتب هذا الكلام لا أنوي به إلا وجه الله تعالى والنصيحة لأخواني والله عالم بحالي، وأقول بما قاله أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه: "لا خير في قومٍ ليسوا ناصحين، ولا خير في قومٍ لا يحبون الناصحين."[1]

---

[1] –رسالة المسترشدين للمحاسبي، "(ص٧١)"

وقال الإمام الشافعي: "ما نصحت أحداً فقبل مني إلا هبته، واعتقدت مودته، ولا رد أحدٌ عليَّ النَّصح إلا سقط من عيني."(١)

فأبدأ مستعيناً بالله تعالى وأنبه أنه ينبغي على الخطيب:

أن يمتثل السنَّة النَّبويَّة في حياته وتصرفاته، وفي كلامه وفعاله، فتأثير الخطيبِ في النَّاس في هذه الجوانب أكثر وفي النفوس أعظم من تأثيره بهم في الخطبة، وهذا الأسلوب هو "أسلوب القدوة الحسنة". كما ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله، في كتابه "الفوائد"، كلاماً بديعاً ونصُّهُ: «علماء السوء جلسوا على باب الجنة يدعون إليها الناس بأقوالهم، ويدعونهم إلى النار بأفعالهم فكلما قالت أقوالهم للناس هلموا، قالت أفعالهم لا تسمعوا منهم فلو كان ما دعوا إليه حقا كانوا أول

١-حلية الأولياء، "(٩/١١٧)"

المستجيبين له فهم في الصورة أدلاء وفي الحقيقة قطاع الطرق»[١]

ولعل لكلامه رحمه الله أصلاً، وهو ما قاله بشر بن الحارث: «أوحى الله إلى داود لا تجعل بيني وبينك عالماً مفتوناً فيصدك بشكٍ عن محبتي، أولئك قطاع الطريق على عبادي»[٢]

وقال عيسى بن مريم عليه السلام: «إلى متى تصفون الطريق إلى الدالجين وأنتم مقيمون مع المتحيرين؟ إنَّما يبتغى من العلم القليل، ومن العمل الكثير»[٣]

كنت أقول في نفسي متسائلاً: لماذا يا تُرى الجوامع كثر، والخطباء والوعاظ أكثر[١]، ومع ذلك ما زال

١-انظر: الفوائد، "(ص٦١)"، ط: دار الكتب العلمية.

٢-ذكره ابن جماعة في "تذكرة السامع والمتكلم"

٣-رواه الخطيب في "اقتضاء العلم العمل"، "(٦٠)"

الحال كما هو؛ بل إنَّك تجد في بعض البلدان الواقع في دنو لا في رفعة وعلو، فكَّرتُ في نفسي طويلاً فوجدت له أسباباً، ومن أهم هذه الأسباب، ذلك الخطيب الذي لم تصل خطبته وموعظته إلى أحشاء القلب، فهي لا تتجاوز الأذنين، ثم يغيب أثرها بعد الخروج من المسجد. فرحم الله بلال بن سعد إذ يقول: "زاهدكم

---

[1] -عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنَّكم في زمان خطباؤه قليل، وعلماؤه كثير ومن ترك فيه عشر ما يعلم هوى أو قال هلك وسيأتي زمان كثير خطباؤه قليل علماؤه من عمل فيه بعشر ما يعلم نجا"

قال الحافظ ابن حجر في "الأمالي الحلبية"، "(ص٨٩)"، " رجال هذا الإسناد لا بأس بهم إلا الرجل المبهم" ط: دار الكلمة.

ورواه الحافظ أبي خيثمة زهير بن حرب النسائي، (ت٢٣٤هـ)، "(ص٤٥)" موقوفاً على عبد الله رضي الله عنه، ط: مكتبة المعارف.

قال الشيخ أبو عبد الرحمن في "تحقيقه للكتاب"، (ص٤٥)، "هذا موقوف صحيح الإسناد، ورجاله رجال الصحيحين، غير عبد الله بن يزيد الصهباني، وهو ثقة، وله ترجمة في "الجرح والتعديل"

راغب، ومجتهدكم مقصر، وعالمكم جاهل، وجاهلكم مغتر"[1]

إنَّ الخطيب الذي حركاته وكلامه وفعاله أشبه بفعال وحركات رجل من عامة الناس، لن تلقى موعظته في القلوب شيئاً لماذا؟

الجواب: لأن الذي يراك في حياتك العادية في (المسجد، أو السوق، أو في الشارع...) ويرى طريقة خطابك، وأسلوبك في التعامل، والأخذ والرد مع الباعة، ومزاحك الثقيل، وصوتك العالي، وغير ذلك؛ لا يستطيع أن يقتنع بكلامك الذي تقول؟!!

سوف يقول: أنت هنا تأمر بكذا، وتفعل كذا، فقولك صدق وفعلك غير ذلك!؟

١-رواه ابن المبارك في "الزهد" "(٧٨/٢)"، وأبو نعيم في "الحلية"، "(٢٥٥/٥)"، وابن عساكر في "تاريخ دمشق"، "(٤٨٦/١٠)"

وسوف أسرد لك في ذلك شيئاً يقرب لك إنَّ الواعظ حتى يحظى بالقبول في خطبته فلا بدَّ من سيرة عطرة[١]:

وممَّا يذكر في ترجمة الإمام محمد بن إسماعيل البخاري صاحب الصحيح المسند، كما حكاه عنه وراقه قائلاً عنه "ما توليت شراء شيء قط، ولا بيعه كنت آمر إنسانا فيشتري لي قيل له ولم؟ قال: فيه الزيادة والنقصان والتخليط"[٢]

قلت: هذا لإنَّه أكمل في الهيبة، وأعظم في النفوس.

وروى أبو بكر الآجري بسندٍ صحيح في "أخلاق حملة القرآن" عن الحسن بن الربيع البوراني، قال: كنت

١-انظر: كتابي التعالم أسبابه، ومظاهره، "(ص٥٨-٥٩)"، وما بعد.

٢-انظر: هدي الساري مقدمة فتح الباري، لابن حجر العسقلاني، "(١/٨٦٤) ط: الدار العالميَّة.

قال: رحمه الله-يعني البخاري-؛ "لا أعلم في جميع مالي درهماً فيه شبهة!" طبقات الشافعية، لابن السبكي، "(٢/٢١٣)

تأمل قوله، "شبهة" ولم يقل، "حرام"

عند عبد الله بن إدريس، فلما قُمتُ قال لي: سلْ لي عن سعر الأشنان، فلما مشيت ردَّني فقال: لا تسأل فإنك تكتب منَّي الحديث، وأنا أكره أن أسأل من يسمع مني الحديث حاجةً."[1]

وروى الدينوري، في "المجالسة"، قال: يوسف بن أسباط كتب إلي حذيفة بن قتادة المرعشي وقال: بلغني أنك بعت دينك بفلسين.

قال: فخرج إليه يوسف فقال: ما ذاك يرحمك الله الذي كتبت إلي؟ فقال: بلغني أنك وقفت على رجل يبيع لبنا؛ الكيل بسبعة أفلس، فسألته كيف يبيع الكيل؟

فقال: بسبعة أفلس، فوليت عنه، فقيل له: هذا يوسف بن أسباط. فقال: هو لك بخمسة أفلس، وإنما حاباك لدينك لا لنفسك.

---

[1] –رواه في باب: "باب المقرئ إذا جلس يُقرئ ويُلقّنُ لله عز وجلَّ ماذا ينبغي له أن يتحلَّق"، "(ص٥٥)"

قال: فآلى يوسف على نفسه لا يأكل لبنا أبداً"[1]

---

[1] -"(١٩٤/٥)"

والآن أقــول: [1]-أيُّهــا الخطيــب: عليــك في كــلِّ خطبــةٍ، أنْ ترتــب الأدلــة فتبــدأ بالقــرآن فهــو كــلام الله تعــالى، ثمَّ بسـنَّةِ النــبي صــلى الله عليــه وســلم، ثمَّ بالآثار عــن الصــحابة والتَّــابعين، وتمَّــم فوائــد خطبتــك، بأشــعارٍ فيهــا معــاني الخــير والســمو، مــع ذكــرِ صــحيح القصــص فإنَّ ذلك له قبولٌ عند العامة.

ألا تعجــب أيُّهــا الخطيــب، أنَّ الــبعض يخطــب خطبــةً، ولا يــذكر فيهــا آيــةً ولا حــديثاً، وإنَّمــا كــلامٌ إنشــائي وحــديثاً ســردياً، فــأيُّ فائــدةٍ ســتعلق بالبــال، وأيُّ موعظــةٍ ســتغير الحال بدون شواهد عظام من الكتاب والسنَّة النبويَّة.

قــال الهيــثم بــن عــديّ: قــال عمــران بــن حطّــان: إن أول خطبــة خطبتهــا، عنــد زياد- أو عنــد ابــن زياد- فأعجــب بهــا النــاس، وشــهدها عمــي وأبي. ثمَّ إني مــررت بــبعض المجــالس، فســمعت رجــلاً يقــول لبعضــهم: هــذا الفــتى أخطب العرب لو كان في خطبته شيءً من القرآن"[(١)]

١-البيان والتبيين، "(١/١١٦)"

[2]-أيُّها الخطيب: إذا وصفت للنَّاس السنن وذكرت لهم الآداب، وحرضتهم على حسن الأخلاق، فأنت أحق النَّاسِ بها، وأولاهم باتباعها، فبعض الخطباء وكذا الأئمة يتركون من السنن الظاهرة، وبعضهم ربما يقبل على بعض المحدثات، أو ما فيه خلاف طويل دائر في باب الفرعيات، فيفعله وتحصل بسببه فتنةٌ ومن بعدها فتنة ومحنة.

روى البيهقي في "الشعب" بسنده عن عبد الرحمن بن أبي حاتم، يقول: سمعت الحسن بن عرفة، يقول: سمعت ابن المبارك، يقول: " من تهاون بالأدب عوقب بحرمان السنن، ومن تهاون بالسنن عوقب بحرمان الفرائض، ومن تهاون بالفرائض عوقب بحرمان المعرفة" (١)

١-انظر: الشعب، "(٣٠١٧)"، وهو في المدارج، "(٢/٣٨١)"، وفيه: "وقال بعضهم : الزم الأدب ظاهرا وباطنا فما أساء أحدٌ الأدب في الظاهر إلا عوقب ظاهراً، وما أساء أحدٌ الأدب باطناً إلا عوقب باطناً"

قال الإمام ابن جماعة، "في أدب العالم مع نفسه"، "أن يحافظ على المندوبات الشرعية القولية والفعلية فيلازم تلاوة القرآن، وذكر الله تعالى بالقلب واللسان، وكذلك ما ورد من الدعوات والأذكار في آناء الليل والنهار، ومن نوافل العبادات من الصلاة والصيام وحج البيت الحرام والصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - فإنَّ محبته وإجلاله وتعظيمه واجب والأدب عند سماع اسمه وذكر سنته مطلوب وسنة.

كان مالك رضي الله تعالى عنه إذا ذكر النبي - صلى الله عليه وسلم- يتغير لونه وينحني.

وكان جعفر بن محمد إذا ذكر النبي - صلى الله عليه وسلم - عنده اصفر لونه.

وكان ابن القاسم إذا ذكر النبي - صلى الله عليه وسلم - يجف لسانه في فيه هيبة لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -.

وينبغي له إذا تلا القرآن أن يتفكر في معانيه، وأوامره ونواهيه، ووعده ووعيده، والوقوف عند حدوده،

وليحذر من نسيانه بعد حفظه فقد ورد في الأخبار النبوية ما يزجر عن ذلك.

والأولى أن يكون له منه في كل يوم وِرْدٌ راتب لا يخل به فإن غلب عليه فيوم ويوم فإن عجز ففي ليلتي الثلاثاء والجمعة لاعتياد بطالة الاشغال فيهما، وقراءة القرآن في كل سبعة أيام ورد حسن وورد في الحديث وعمل به أحمد بن حنبل، ويقال: من قرأ القرآن في كل سبعة أيام لم ينسه قط"[1]

---

١ -تذكرة السامع والمتكلم، "(ص٥٢-٥٣)"

[3]-أيها الخطيب: إنَّ المستمع لك جاءك بقلبه فرماه بين يديك، فانتقِ أطايب الكلم، واستخدم أنسب الأساليب في إيصال المعلومة، ولا تكن مهذاراً كثير الكلام، لا يفهم منه شيء، تذهب مذهباً بعيداً ثم تعود ثم تذهب، فلا يعرف منك ماذا تريد، ولا إلى أي شيء تبغي، فربما تكلم بعضهم في خطبته بعشرة مواضيع، وكل موضوع يحتاج لخطبة، فكيف ستعقل هذه الخطبة، أو تذكر ولو لساعات معدودة.

وفي "الزهد" لأبي داود عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "قولوا خيراً تعرفوا به، واعملوا به تكونوا من أهله، ولا تكونوا عُجُلاً مذاييع بذراً"[1]

قال قائلٌ شعراً:

أوصيك في نظمِ الكلام بخمسةٍ

إنْ كنت للموصي الشفيق مطيعاً

١-الزهد، "(ص١٤٨)"

لا تُغفلنَّ سببَ الكلامِ ووقتِه

والكيفَ والكم والمكانَ جميعاً"[١]

وقال بعض الكلبيين.

فإذا خطبت على الرجالِ فلا تكن

خطل الكلام تقوله مختالاً

واعلم بأنَّ من السكوتِ إبانةٌ

ومن التكلم ما يكون خبالاً

وكان يقال: «عقل الرجل مدفون تحت لسانه»[٢]

وقال سعيد بن عبد العزيز: "لا خير في الحياة إلا رجلين: صموت قنوع، وناطق عارف"[١]

١-انظر: "تعليم المتعلم" لبرهان الإسلام الزرنوجي، "(ص١٠٤-١٠٥)"

٢-البيان والتبيين، "(١/١٢٨)"، و"(١/١٥٥)"

[4]-أيُّهـا الخطيـب: جمـع القلـوب أولى مـن شـيء أنـت تعتقـده ويسـبب نفـرة وكراهيـة لـدى العامـة، وقـد تفعـل شـيئاً تـرى جـوازه والقـوم علـى خلافـه، لـك أنـت فيـه مـذهب، وهـم لهـم في ذلـك مـذهب. فـالأولى في حقـك البيـان بالـدليل الصـحيح الصـريح لهـم، فـإن هـم اتبعـوك فهـذه منـة وتوفيـق مـن الله لـك، وإلا فسِـر معهـم؛ ولكـن لا تسـر مـع محـدث أو بدعـة، فـلا طاعـة لمخلـوق في معصـية الخـالق أو معصـية النـبي صـلى الله عليـه وسـلم والإحـداث في الـدين، وإنمـا كلامـي في أن تسـير معهـم إذا كـان الخـلاف سـائغاً، والأمـر في دائـرة السـنَّة، فـلا بأس أن تكـون معهـم تطييبـاً لقلـوبهم، وجمعـاً لكلمـة المسـلمين، فـإن تـرك المسـتحب مـن المسـتحب إذا كـان ذلـك سـبباً في جمـع القلـوب، فـإن جمـع

---

[1]-سـير أعـلام النـبلاء، "(٣٦/٨)"، فـنِعم الرجـلُ الـذي يـتكلم وهـو عـارف بما يتكلم، وفي أي وقت ينبغي أن يتكلم، وكم ينبغي أن يتكلم.

القلـــوب، ســـبب في جمـــع الجســـوم، وجمعهمـــا مـــن أعظـــم مـــا حـــث عليـــه الشـــرع، وتشـــتتها مـــن أخطـــر مـــا حـــذر منـــه الشـــرع، وهـــو حـــظ الشـــيطان في زرع بذور الافتراق والعصيان.

[5]-أيها الخطيب: كنْ في خطبتك ابن الواقع لا ابن الخيال، فبعض من يتقدم في النَّاس خطيباً، يتكلم عن شيءٍ، وواقع النّاسِ وحالهم شيئاً آخر، كما أنَّ بعضهم يبالغ في الحديث عن الواقع، حتى يكاد أن يسمي الأشخاص بمسماهم على المنبر، فضلاً أن بعضهم يخوض في حديث السياسة والتلفاز لينقله إلى منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكأنك تسمع باحثاً عسكرياً، أو محللاً سياسياً مع مصاب أكبر، في أسلوبه وخطابه، وهذا لو وقع لطارئ لا حرج، وإنما حديثي عمَّن يتكلم بذلك على الدوام.

قال بعض الفضلاء: «إن شرّ السُرَّاق الخطباء الذين يستغلون المنبر لأغراضهم الشخصية؛ لأنهم يسرقون أعمار الناس، فهم شر ممن يسرق أموالهم»

وقيل "من نزل بأرض تفشى فيها الزنى فحدث النَّاس عن حرمة الربا فقد خان"

أقول لك: من أهم أسباب قبول الناس لخطبتك هي الواقعية لكن **شرط ألا تكون مادية ولا مثالية، لا تفرط في الجوانب فتكون مادياً، ولا تبالغ في الكلام فتكون مثالياً؛ ولكن كن ابن بيئتك** عالج مشاكل الشباب، انظر في المخاطر التي تحصل في المجتمع، فمثلاً: "(تحدث عن غلاء المهور بذكر أحاديث وآثار في الباب، تكلم عن خطر السحر وأثره، وغير ذلك من المشاكل الاجتماعية) فإن طبَّقت الخطبة بدون شطط أو مبالغة، لقيت قبولاً وليس بالضرورةِ أنْ يكون الكلُّ عنك راضٍ، بل ليكن همك هو رضا الله تعالى.

فليتك تحلو والحياة مريرة

وليتك ترضى والأنام غضاب

وليت الذي بيني وبينك عامر

وبيني وبين العالمين خراب

إذا صح منك الود فالكل هين

وكل الذي فوق التراب تراب

وتــذكر: "أنَّ رضــا النــاس غايــة لا تــدرك" كمــا قــال الشــافعي رضــي الله عنــه : "رضــى النــاس غايــة لا تــدرك فعليـك بمـا فيـه صـلاح نفسـك فالزمـه"[1] ، لكـن كسـب قلوب العقلاء، ممَّا ينبغي للحريصِ أن يسعى له.

---

[1]–مدارج السالكين، "منزلة الإيثار"، "(٢/٣٠١)"

[6]-أيها الخطيب: إذا وعظت على المنبر، فلا تكن طعاناً ولا فاحشاً، وعليك بمعالجة الأمور بأستخدام أسلوب الغائب لا المتكلم، فهذا أسلم لك، وادعى بالقبول عند غيرك.

وتذكر قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «إنَّ الفقيه حق الفقيه، من لم يقنط الناس من رحمة الله، ولم يرخص لهم في معاصي الله، ولم يؤمنهم من عذاب الله، ولم يدع القرآن رغبة عنه إلى غيره، إنه لا خير في عبادة لا علم فيها، ولا علم لا فهم فيه، ولا قراءة لا تدبر فيها»[1]

---

[1]-رواه الدارمي في "سننه"، "(٣٠٥)"، وأبو داود في "الزهد"، "(ص١١٥)"، وفي سنده ضعف.

واقبل النَّصيحة ممن يستمع لك إذا قالوا لك شيئاً، فالعاقل هو الذي يأخذ الحكمة من غيره، فالحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها فهو أحق بها.[1]

وهذا الذي تفعله من قبولك النَّصيحة، والأخذ بما فيها، والشدِّ على يدي قائلها من أنبل علامات السلف، كما قال ابن قدامة: "وقد كان السلفُ يحبون من ينبههم على عيوبِهِم، ونحن الآنَ في الغالب أبغض الناس إلينا من يعرفنا عيوبنا.

وهذا دليل على ضعف الإيمان، فإنَّ الأخلاق السيئة كالعقارب، لو أنَّ منبهاً نبهنا على أن تحت ثوب أحدنا عقرباً لتقلدنا له منة، واشتغلنا بقتلها، والأخلاق الرديئة أعظم ضرراً من العقرب على ما لا يخفى.

١-عبارة "الحكمة ضالة المؤمن"، راجعها في "المقاصد الحسنة" للسخاوي، "(ص٣١٠-٣١١)"، "(٤١٥)"، و "كشف الخفاء" للعجلوني، "(١/٤١٧-٤١٨)"، "(١١٥٩)"

وقد كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: رحم الله امرءاً أهدى إلينا عيوبنا.

وسأل سلمان رضي الله عنه لما قدم عليه من عيوبه، فقال: سمعت أنك جمعت بين إدامين على مائدة، وأن لك حلتين: حلة بالليل، وحلة بالنهار، فقال: هل بلغك غير هذا؟ قال: لا، قال: أما هذا فقد كفيتهما"(١)

قال الطرطوشي: "ولم يزل العقلاء على اختلاف مذاهبهم يطلبون صواب الرأي من كل أحد حتى الأمة الوكعاء، وهذا عمر رضي الله عنه يقول: "رحم الله أمراء أهدى إلي عيوبي"(٢)

١-مختصر منهاج القاصدين، "(ص١٥٧)"، بتقديم وتأخير.

٢-بدائع السلك في طبائع الملك" لابن الأزرق الغرناطي، "(ت٨٩٦هـ)"، "(ص٣١٣)"

[7]-أيها الخطيب: احذر اللحن الجلي والفاحش، فهو بلية يقع به البعض، فإن كان اللحن خفي:

ولا يغير المعنى

ولم يكن غيرك يخطب من أهل بلدك فلا عليك؛ ولكن استدرك ذلك، واسع أن تقلل من الوقوع فيه، والتخلص منه، هذا إذا كان اللحن لا يحيل عن المعنى، ويغير مبنى الكلام لاسيَّما في الصلاة.[1]

---

[1] -وبهذا الخصوص أنقل كلاماً رائعاً قاله الشيخ محمد عبد السلام هارون في كتاب "قطوف أدبية"، "(ص١٤١-١٤٣)" ط: مكتبة السنة، في رسالة إلى وزير الأوقاف ونصها "وبعد: فإنِّي أكتب إليك هذا إثر سماعي لأصواتِ جماعة من المؤذنين في هدأة الفجرِ حاولتُ أن ألتقط صواب الأذن من بينهم فلم احظ بطائل؟

وجدتهم جميعاً يدعون إلى الصلاة في صوت واضح، ولحن غيرِ مستساغ، وقد ألفنا أن نسمع منهم هذا اللحن، لا يكاد يسلم منه واحد من صغار المؤذنين أو كبارهم. وهو لحن خفي يمر على الأذن مروراً خاطفاً بوضوحٍ تارةً، وبخفاء في أكثر الأمر.

وليس هذا من أحطائنا المحلية فحسب، فإني قد سمعته كما سمعه غيري في كثير من الأقطار الإسلاميَّة التي زرتها.

إنَّ العبارة الدينية التي يطلب بها الإقبال على الصلاة، والتي هي لب الأذان هي عبارة: "حيَّ على الصلاة حيَّ على الصلاة، حيَّ على الفلاح حيَّ على الفلاح، وهذه العبارة ليست أمراً بإصدار التحية إلى الصلاة وإلى الفلاح كما يفهمها الجمهرة العظمى من الناس أو المؤذنين، فإن هذا فهم خاطئ لم يأتِ به كتاب أو سنَّة.

وأريد أن أوضح كما تعلم أنَّ كلمة "حيَّ" التي وردت مأثورة في شعار الأذان إنما هي مفتوحة الياء المشددة كما تقضي به نصوص كتب الحديث الستة وغيرها، وكتب اللغة جميعاً ولا سيَّما كتب لغة الحديثِ بالإجماع.

وليست فعلاً من أفعال الأمر كما يتبادر لغير العارفين، بل هي كما يقول اللغويون: "اسم فعل أمر" خاضعة للبناء على الفتحِ، ومثلها في ذلك كلمة "هلَّم" التي هي كذلك اسم فعل أمر خاضعٌ للبناء على الفتحِ لا يجوز غيره.

وإذن فنطقها بكسرِ الياء كسراً ظاهراً أو كسراً خفياً، كما هو المعهود والمسموع في نطق المؤذنين، يعد مخالفة شنيعة، ولحناً غير مقبول؛ لأنه يغير المقصود من معنى الكلمة التي إنما يراد بها الدعوة اللطيفة الفصيحة إلى الإقبالِ على أداءِ هذه الشعيرة الدينية، وليست من قبيل أداء التحية للصلاة أو للفلاح في شيء.

قال ابن الأثيرِ في "النهاية": "وفي حديث الأذانِ: حيَّ على الصلاة حيَّ على الفلاحِ، أي هلموا إليها وأقبلوا وتعالوا مسرعين"

لهذا أتوجهُ إليك مشاركاً لك في وجوب إسداء النصيحة بصورةٍ حازمة إلى السادة القائمين بشعيرة الأذانِ أن يتوخوا صواب اللغة وصواب الأداء، بإن يظهروا فتحة الياء المشددة في "حيَّ" إظهاراً صريحاً واضحاً،

وتأمل كلام عبد الملك بن مروان: "شيبني ارتقاءُ المنابرِ مخافة اللَّحنِ"(١)

وقيل له: عجل عليك الشيب يا أمير المؤمنين! قال: «وكيف لا يعجل عليّ وأنا أعرض عقلي على النَّاسِ في كل جمعةٍ مرةً أو مرتين»(٢)

وقد كان جماعة من السلف يضربون أولادهم على اللحن، فعن عبيد الله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنه: "أنَّه كان يضرب ولده على اللحن"(٣)

جرياً على ما كان عليه السلف الصالح من الحرصِ على سلامة اللغة العربيَّة، لغة الكتاب"

١-انظر: تغريب الألقاب العلمية، "(ص٢٩)"، وعزاه بقوله: "انظره بواسطة كتاب سعيد الأفغاني في أُصول النحو، "(ص٩)"، ط: جامعة دمشق، "(١٣٨٣هـ)"

٢-البيان والتبيين، "(١/١٢٨)"

٣-رواه البخاري في "الأدب المفرد"، "(٨٨٠)" وابن أبي شيبة في "مصنفه"، "(٢٥٦٥) والخطيب في "الجامع لأخلاق الراوي" "(١٠٨٩-١٠٩٠-١٠٩١)"

وقال الشعبي: «النحو في العلم كالملح في الطعام لا يستغنى عنه»

قال الخليل بن أحمد:

وَتَرَى اللَّحْنَ بِالْحَسِيبِ أَخِي الْهَيْئَةِ
مِثْلَ الصَّدَى عَلَى الْمَشْرَفِيّ
فَاطْلُبُوا النَّحْوَ لِلْحِجَاجِ وَلِلشِّعْرِ
مُقِيمًا وَالْمُسْنَدِ الْمَرْوِيّ
وَالْخِطَابِ الْبَلِيغِ عِنْدَ جَوَابِ الْقَوْلِ
يُزْهَى بِمِثْلِهِ فِي النَّدِيّ"[1]

[1]–انظرهما: في "جامع بيان العلم"، "(١١٣٣/٢)"

[8]-أيها الخطيب: حافظ على السنَّة النَّبوية في طريقة الإلقاء، والعرض والسرد، ابدأ بمقدمة الحاجة الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم، ودعك مما يفعله بعض الخطباء من الإطالة المبالغ بها في المقدمة، من سرد شعر، وكلام مصطنع ولو كان فيه جمالٌ وبيان، فخير الكلام كلام الله تعالى، وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم.[1]

وهذه الخطبة مستحبة يوم الجمعة لما ورد فيها من نصوص صحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم، ومستحبةٌ في غيرها كخطبة النكاح، وقد عدَّها الشافعية

---

١ -وردت هذه الخطبة المباركة عن ستة من الصحابة وهم عبد الله بن مسعود وأبو موسى الأشعري وعبد الله بن عباس وجابر بن عبد الله ونبيط بن شريط وعائشة رضي الله عنهم . وعن تابعي واحد هو الزهري – رحمه الله–

وانظر: بخصوص هذا كتاب: "خطبة الحاجة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمها أصحابه"

وغيرهم سنة، وعدها داود الظاهري واجبة لا يصح العقد إلا بها فتأملَّ![1]

---

[1] -قال الإمام النووي في "الأذكار"، "(٨٢٥)"، "(ص٢٨٢)"، "يستحب أن يخطب بين يدي العقد خطبة تشتمل على ما ذكرناه في الباب الذي قبل هذا، وتكون أطول من تلك، وسواء خطب العاقد أو غيره.

وأفضلها ما روينا في "سنن أبي داود" و "الترمذي" و "النسائي" و "ابن ماجه" وغيرها، بالأسانيد الصحيحة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: علمنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) خطبة الحاجة: " الحمد لله نستعينه ونستغفره ونعوذ به من شرور أنفسنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١] ، ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢] ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧١] هذا لفظ

[9]-أيها الخطيب: لا تحث الناس على شيء، وتخالفهم في ذلك فإن ذلك علامة مقت، ودليل سوء، ومثال ذلك أن يتكلم الخطيب عن الاتباع للسنة وصور من اتباع الصحابة والتابعين للسنة والتمسك بها، وهو حليق للحية، مسبل لأزاره، فما قيمة تلك الخطبة في نفوس الناسِ وهم ينظرون إليك وأنت مخالف للسنة ولا حجة لك إلا دعاوي الرد عليها سوف يكون من خطبتك، فالله الله في الكلام الذي تذكره لن يكون له حلاوة تامة حتى تكون به عاملاً، ومن ضده متعوذاً.

خطب عمر بن عبد العزيز رحمه الله يوماً، وقال في معرض خطبته: " أما والله إنِّي لأقول هذا، وما أعلم

إحدى روايات أبي داود وفي رواية له أخرى بعد قوله ورسوله " أرسله بالحق بشيرا ونذيرا بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فإنه لا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئا" قال الترمذي: حديث حسن".

عند أحد من الذنوب أكثر مما عندي، وأستغفر الله وأتوب إليه"(١)

فينبغي للخطيب والواعظِ أن يتهم نفسه بالتقصير ولا يزكيها على الله تعالى، وأن يتبع ذلك التقصير فيقومه بالعلم النافع، والعمل الصالح فبه النجاة والعصمة، وإلا فنارٌ حطمة. قال الإمام مسلم بن الحجاج في "صحيحه"، "باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله وينهى عن المنكر ويفعله"، وساق بسندهِ عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يؤتى بالرجل يوم القيامة، فيلقى في النَّار فتندلق أقتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى فيجتمع إليه أهل النار فيقولون يا فلان مالك؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: بلى

---

١ –انظر: سيرة عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز" لابن رجب من "مجموع رسائله"، وجعل فيها فصلاً في التعاريف بوالدِ عبد الملك "(٢/٥٠٤)"، وهي خطبة عصماء عظيمة.

قد كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وأنهى عن المنكر وآتيه"[١]

قال ابن المبارك في "الزهد والرقائق": "باب كراهية الخطيب بالموعظة وينسى العمل"[٢]

وقال أخبرنا مجالد بن سعيد، عن الشعبيّ قال: "ما من خطيب يخطبُ إلاَّ عُرِضت عليه خُطبتُهُ يومَ القيامة"[٣]

قال أبو الأسود الدؤلي رحمه الله:

لا تنهَ عن خلق وتأتي مثله

١-رواه برقم، "(٢٩٨٩)"، قال النووي في "شرحه على صحيح مسلم"، "(١١٨/١٨-١١٩)" "قال أبو عبيد: الأقتاب الأمعاء.

قال الأصمعي: واحدها قتبة.

وقال غيره: قتب وقال بن عيينة هي ما استدار في البطن وهي الحوايا والأمعاء وهي الأقصاب واحدها قصب والاندلاق خروج الشيء من مكانه"

٢-"(٥٧/٢)" ط: وزارة الشؤن البحرينية.

٣-رقم، "(١٢٩)"، ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب "الصمت"، "(٩٥)"، وأبو نعيم في "الحلية"، "(٣١٢/٤)" بإسنادهما إلى ابن المبارك.

عار عليك إذا فعلت عظيم

وابدأ بنفسك فانهها عن غيها

فإذا انتهت عنه فأنت حكيم

فهناك يقبل إن وعظت ويقتدي

بالعلم منك وينفع التعليم"[١]

---

١ –انظر: "الأخلاق والسير في مداواة النفوس" لابن حزم، "(ص٩٥)"، والبيت الأول ذكره الشيخ عبد القادر الجيلي في "الغنية"، "(١/١١٤)"

[10]-أيها الخطيب: كن سبباً في بناء صرح السنة، لا معولاً ضارباً فيها! لا سيَّما في زماننا هذا؛ زمنُ الغربة، وشيوع الجهل، والتنمر بالعلم، وتشيخ الصحف، وحب الظهور والبروز.

فتكلم عن البدع والتحذير منها تارةً، وتحدث عن الأعياد والمواسم البدعية وما ينتج عنها تارةً أخرى، وما أكثر المخالفات التي ظهرت في الأمة[1] وينبغي لك أن تنبه عليها، وأن تجعل من منبرك سبيلاً في التحذير منها.[2]

فمثلاً انشر السنة: بمجالستك للنَّاسِ قبل الخطبة، أو في أي وقت تراه مناسباً لك ولهم في قراءة كتاب من كتب الحديث، كصحيح البخاري، أو في الشمائل مثلاً:

١-روى الشاطبي في "الاعصام"(١/١٢٧)"، وابن وضاح في "البدع والنهي عنها"، "(ص٦٥)" عن حذيفة رضي الله عنه قوله: «واللهِ لتفشونَّ البدعُ حتى إذا تُرِكَ منها شيءٌ قالوا: تُرِكت السنة»

٢-انظر مثلاً: كتاب البدع الحولية.

ككتاب أبي عيسى الترمذي، وهو في "وصف النبي صلى الله عليه وسلم خَلقاً وخُلقاً"، أو في السيرة ككتاب "نور العيون" لابن سيد الناس، أو قراءةً في كتاب يجمع لك الخير العظيم، مثل كتاب "زاد المعاد" لابن القيم رحمه الله.

ومن نشرك للسنة: الحديث باختصار عن الفرق المبتدعة، وكذلك الأديان المنحرفة، وهذا كله بعد تصحيح توحيد العبادة، فالعلم درجات ومناقل، ولا يمكن صعدوها مرة واحدة، ولا بدَّ من التأسيس قبل البناء، وإلا فسرعان ما ينهدم، ويذهب السعي سُدىً.

فمهمة الخطيب أوسع بكثير من رجل يصعد المنبر، ليتكلم بكلام ثمَّ ينزل عنه، وإنَّما هو كالمشعلِ ينير الدرب للسائرين إلى الله تعالى إنْ صدق واتبع ما أمره الله تعالى به ورسوله الكريم صلى الله عليه وسلم.

[11]-أيها الخطيب: صحح أحاديثك،[1] واتقِ الله فيما تقول، فإني حضرت خطباً لأشخاص، يتكلمون بأحاديث غير صحيحة، وبعضهم ربما ذكر أثراً موقوفاً فعزاه بالرفع إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وبعضهم ربما ذكر كلاماً من أخبار نبي الله عيسى عليه السلام فجعله من كلام نبينا صلى الله عليه وسلم، فو الله لو أدركك زمان أهل الحديث لجعلت في صف "المجروحين"[2]، وكنت مَّمن ذكر أسمائهم الذهبي في

١-انظر: في حكم هذا في كتاب "الفتاوى الحديثية"، لابن حجر الهيتمي المكي، "(ص٨٨)"، "مطلب في أحوال خطيب يرقى المنبر في كل جمعة ويذكر أحاديث لم يبين مخرجيها"

٢-ومن تلك الكتب كتاب المجروحين" للإمام الحافظ أبي حاتم محمد بن حبان البستي، "(المتوفى٣٥٤هجري)"، ويقول في مقدمته، "(ص٥٢)" ت: البيضاني. "وإني ذاكرٌ ضعفاء المحدثين، وأضداد العدول من الماضيين، ممن أطلق أئمتنا عليهم القدح، وصح عندنا فيهم الجرح، واذكر السبب الذي من أجله جرح، والعلة التي بها قدح، ليرفض سلوك الاعوجاج، بالقول بأخبارهم عند الاحتجاج، وأقصد في ذلك ترك

"ميـزان الاعتـدال"[1]، فـاتقِ الله في حـديثك عـن الله فـلا تفسـر آيـة إلا بمـا صـح، ولا حـديثاً إلا بمـا ثبـت وإلا فليس هذا مكانك؟ [2]

الإمعـان والتطويـل، وألـزم الإشـارة إلى نفـس التحصـيل، وبالله أسـتعين علـى السداد في المقال، وبه نتعوذ من الحيرة والضلال.."

١ –وهـو للإمـام العلـم شمـس الـدين أبـو عبـد الله محمـد بـن أحمـد بـن عثمـان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هجري)

٢ –هنـاك عبـارة فضفاضـة، يسـتدل بهـا الـبعض علـى جـوازِ العمـل بالضـعيف؛ "وهـي أن الضـعيف يعمـل بـه في فضـائل الأعمـال"؛ ولكـن جهـل هـذا المسـتدل أنَّ لهـذه العبـارة قيـود وضـوابط، وأنهـا ليسـت علـى الإطـلاق، وأن الحـديث إن ضـعف فهـل لكـون راويـه سـيء الحفـظ فحـديث ضـعيف قابـل للتحسـين بالمتابعـات والشـواهد، وإن كـان فـرداً فلـيس هـذا الضعف بذاك الضعف الذي لا يحتمل وينكر عليه.

أم ضـعف الحـديث لضـعف عدالـة راويـه لا لحفظـه، وهـذا صـنف لا يقبـل المتابعات والشواهد فيبقى على حاله.

وهـل العبـارة الـتي يسـتدل بهـا الـبعض ويصـدع بهـا الـرؤوس علـى قبـول الإمـام أحمـد الحـديث الضـعيف والعمـل بـه علـى الإطـلاق، وهـل الضـعيف الـذي يقول به الإمام أحمد هو الحسن أم أنه الضعيف المعروف.

ذكر الشيخ جمال الدين القاسمي، في "قواعد التحديث" مقالًا نافعًا، وذكر فيه عن قائله كلامًا صائبًا، وهو: "ومما يوجب الأسف أن يرى الإنسان تلك الموضوعات، والمناكير، والأباطيل قد انتشرت في الكتب انتشارًا زائدًا، ورواها الخلف عن السلف وشحنت بها كتب الوعظ، والإرشاد ودواوين الخطباء

وهل صحة السند تقتضي صحة المتن، فيلزم منه أن يكون المتن صحيحاً ويستساغ روايته ونسبه للنبي صلى الله عليه وسلم.

وهل رواية الضعيف تكون مع بيان ضعفه، وعدم الاكتفاء بروايته بصيغة التمريض، كقولك "قيل، أو يروى، أو يحكى" فهذه العبارات وإن كانت تقتضي أنه ضعيف لكن عامة الناس لا يعرفونها أنها تدل على أنه حديث ضعيف، وعليه فلا بد من الصراحة في بيان ضعفه وهذا أقل المطلوب.

وغير ذلك من الأسئلة التي تجعل ذلك الخطيب يقف متحرياً للإجابة عنها، ثم يخرج على المنبر ويأتي بالروايات المنكرة، وبالأحاديث الواهية، ويقول لك يعمل بالضعيف، والله لمثل هذا ينبغي أن يزجر وأن يمنع من الخطابة، فهل يعقل أن يكون على الخبازين والباعة محتسب، ولا يكون على من يروي مثل هذه الأحاديث وما لا يصح نسبته إلى النبي صلى الله عليه وسلم محتسب!؟

حتى إنَّك لا تطالع ديوانًا من الدواوين المتداولة بين خطبائنا إلا وترى فيه من فظائع الأكاذيب على نبينا عليه الصلاة والسلام ما يستوجب العجب، وما ذاك إلا لذهاب علماء الحديث ودخولهم في خبر كان، وعدم اعتناء أهل عصرنا به"[١]

ففي خصوص تفسير القرآن.

قال الحافظ ابن كثير: "ولهذا تحرج جماعة من السلف عن تفسير ما لا علم لهم به، كما روى شعبة، عن سليمان، عن عبد الله بن مرة، عن أبي معمر، قال: قال أبو بكر الصديق، رضي الله عنه: أي أرض تقلني وأي سماء تظلني؟ إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم [٢]

١– قواعد التحديث، "(ص١٥٦)"

٢–تفسير ابن كثير، "(١١/١)"، وانظر: في "تفسير الطبري"، "(٧٨/١)"

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام: حدثنا محمد بن يزيد، عن العوام بن حوشب، عن إبراهيم التيمي؛ أن أبا بكر الصديق سئل عن قوله: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾ [عبس: ٣١]، فقال: أي سماء تظلني، وأي أرض تقلني؟ إذا أنا قلت في كتاب الله ما لا أعلم" منقطع [١]

وقال أبو عبيد أيضاً: حدثنا يزيد، عن حميد، عن أنس؛ أنَّ عمر بن الخطاب قرأ على المنبر: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾ [عبس: ٣١]، فقال: هذه الفاكهة قد عرفناها، فما الأب؟ ثم رجع إلى نفسه فقال: إن هذا لهو التكلف يا عمر [٢]

١-فضائل القرآن (ص ٢٢٧) ورواه ابن أبي شيبة في المصنف (١٠/ ٥١٣)

٢-انظر: فضائل القرآن، "(ص ٢٢٧)"، ورواه ابن أبي شيبة في المصنف (١٠/ ٥١٢) عن يزيد به، ورواه الحاكم في "المستدرك"، "(٢/ ٥١٤)" من طريق يزيد عن حميد به، وقال: "صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه"

وقال عبد بن حميد: حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا حماد بن زيد، عن ثابت، عن أنس، قال: كنا عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وفي ظهر قميصه أربع رقاع، فقرأ: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾ فقال: ما الأب؟ ثم قال: إن هذا لهو التكلف فما عليك ألا تدريه" (١)

وهذا كله محمول على أنَّهما رضي الله عنهما، إنما أرادا استكشاف علم كيفية الأب، وإلا فكونه نبتا من الأرض ظاهر لا يجهل، لقوله ﴿فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا وَعِنَبٗا﴾ الآية [عبس: ٢٧- ٢٨] .

وقال ابن جرير: حدثنا يعقوب بن إبراهيم، حدثنا ابن علية، عن أيوب، عن ابن أبي مليكة: أن ابن عباس

١- ورواه ابن سعد في "الطبقات"، "(٣/ ٣٢٧)" ، ورواه البخاري في صحيحه برقم، "(٧٢٩٣)"

سئل عن آية لو سئل عنها بعضكم لقال فيها، فأبى أن يقول فيها، إسناده صحيح"[1]

وبخصوص رواية الحديث، فتذكر حديث المغيرة بن شعبة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «من حدث بحديث وهو يرى أنَّه كذب، فهو أحد الكاذبين»[2]

---

[1] -انظر: تفسير ابن كثير، "(١/١١-١٢)"، ت: سلامة.

[2] -رواه مسلم في "مقدمة صحيحه"، "(١/٨)"، والترمذي في "سننه"، "(٢٦٦٢)"، وقال الترمذي عقبه: "سألت أبا محمد عبد الله بن عبد الرحمن، عن حديث النبي صلى الله عليه وسلم: «من حدث عني حديثًا وهو يرى أنَّه كذب فهو أحد الكاذبين» قلت له: من روى حديثًا وهو يعلم أن إسناده خطأ أيخاف أن يكون قد دخل في حديث النبي صلى الله عليه وسلم؟ أو إذا روى النَّاس حديثًا مرسلًا فأسنده بعضهم أو قلب إسناده يكون قد دخل في هذا الحديث؟ فقال: «لا، إنما معنى هذا الحديث إذا روى الرجل حديثا ولا يعرف لذلك الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أصل فحدث به فأخاف أن يكون قد دخل في هذا الحديث» والبغوي في "شرح السنة"، "(١٢٣)"، وذكر قول مالك وهو «لا يكون الرجل إمامًا وهو يحدث بكل ما سمع».

[12]-أيها الخطيب: إياك وطغيان العلم، والفرح بما لديك من قوة البيان، وكثرة ما تذكره من الأدلة والأحكام، فهذا ممَّا يقع به البعض، وهو من علامة الإفلاس والحرمان. وتذكر قول يوسف بن الحسين: «في الدنيا طغيانان: طغيان العلم وطغيان المال، والذي ينجيك من طغيان العلم العبادة، والذي ينجيك من طغيان المال الزهد فيه»[1]

١-اقتضاء العلم، "(٢٦)"

[13]-أيها الخطيب: المنبر الذي تصعد عليه هو منبر النبي صلى الله عليه وسلم، فكن على خير حال، وأجمل مقال، وأنت تصعد إليه، وأنت تقف عليه، وأنت تنزل منه.[1]

[1] -والدعاء الذي يفعله البعض لا دليل عليه، وهو محدث

قال ابن القيم في "زاد المعاد"، "(١/١٨١)"كان منبره ثلاث درجات، فإذا استوى عليه واستقبل الناس أخذ المؤذن في الأذان فقط ولم يقل شيئا قبله ولا بعده، فإذا أخذ في الخطبة لم يرفع أحد صوته بشيء البتة لا مؤذن ولا غيره"

[14]-أيها الخطيب: ليكن همك هو وجه الله تعالى، فلا تفرح بثناء الناس عليك، ولكن افرح بأنَّ الله وفقك، واجعل هذا هو بغيتك، أن أوصلت الذي تريد لهم، فاحذر حظ النفس، فهو مدعاة إلى الهلكة.

فعن نعيم بن عبدالله-كاتب عمر بن عبد العزيز- أن عمر بن عبد العزيز قال: "إنَّه ليمنعني من كثير من الكلام مخافة الناس"(١)

وقال ابن شهاب رحمه الله: "إنَّ هذا العلم أدب الله الذي أدَّب به نبيه عليه السلام وأدب به النبي صلى الله عليه وسلم أمته أمانة الله إلى رسوله ليؤديه على ما أدي إليه فمن سمع علماً فليجعله إمامه وحجة فيما بينه وبين الله تعالى"(٢)

١-الزهد لابن المبارك، "(١٣٠)"، ورواه البخاري في "التاريخ الكبير"، "(٣٥١/٢)"، وابن أبي الدنيا في كتاب "الصمت"، "(٩٦/)"

٢-رواه عياض بن عياض السبتي في "الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع" "(ص٢١٣)، والحاكم في "معرفة علوم الحديث"، في

وقال الحسن: «لقد صحبت أقواماً إنْ كان أحدهم لتعرض له الحكمة لو نطق بها نفعته ونفعت أصحابه، فما يمنعه منها إلا مخافة الشهرة، وإن كان أحدهم ليمر فيرى الأذى على الطريق، فما يمنعه أن ينحيه إلا مخافة الشهرة»[١]

وقال أبو سليمان الداراني: "من رأى لنفسه قيمة، لم يذق حلاوة الخدمة"[٢]

وقال الإمام الشافعي: "من سام بنفسه فوق ما يساوي رده الله إلى قيمته"[٣]

ذكر النوع العشرين، "(ص٦٣)" والخطيب في "الجامع لأخلاق الراوي"، في الباب الأول. "(١/١٢٠)" بإسناديهم إلى مالك بن أنس إلى الزهري رحمهما الله.

١-رواه ابن المبارك في "الزهد"، "(١٣١)"، وذكره الغزالي في الإحياء، "(٣/٢٩٦)"

٢-انظر: سير أعلام النبلاء، "(١٠/١٨٤)"، و "البداية والنهاية "، "(١٠/ ٢٥٦)"

٣-"المجموع" للنووي، "(١/١٣)"

وقال الإمام الزاهد أحمد بن إبراهيم الواسطي: "احذر أن يكون قلبك كقلوب علماء الدنيا؛ فإن قلوبهم لاهية، وعلى الدنيا والمناصب مقبلة، يفرحون بوجود الدنيا ويحزنون على فواتها، يحبون الرفعة والسمعة، فأولئك صار العلم لهم كسباً ينالون به دنياهم ومناصبهم، إذ لكل امرئ ما نوى ومن عامل الله لم يخسر"(١)

أأُخيَّ من عشق الرئاسة خفت أن
يطغى ويحدث بدعةً وضلالاً"(٢)

١–مفتاح طريق الأولياء، "(ص٣٢)"، ط: دار البشائر

٢–ديوان أبو العتاهية، "(ص٣٤٨)"

[15]-أيها الخطيب: خير الكلام ما قل ودل، ولكل شيء مقام[1]، وعليك بجوامع الكلم، وتمعن بهذا الخصوص في السنة النبوية فهي من خير الوسائل، روى مسلم عن أبي اليقظان عمار بن ياسر رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إنَّ طول صلاة الرجل، وقصر خطبته، مئنة من فقهه، فأطيلوا الصلاة وأقصروا الخطبة"[2]

«**مئنة**» بميم مفتوحة ثم همزة مكسورة ثم نون مشددة، أي: علامة دالة على فقهه.

١-رواه الخطيب في "الجامع"، "(٣٢٣/٢)"، بإسناده عن قتادة، قال: "سألت أبا الطفيل عن حديث، فقال: «لكل مقام مقال» وفي رواية وهب: «أن لكل مقام مقالا»، وهو في المحدث الفاصل، "(٨٩٥)"، وفي أدب المفتي لابن الصلاح، "(ص١٤١)"، ط: دار العلوم والحكم.

٢-رواه أحمد في "مسنده"، "(١٨٣١٧)" "(١٥٥٦)"، ومسلم في "صحيحه" (٨٦٩) ، والبزار في "مسنده" (١٤٠٦) ، وأبو يعلى في "مسنده"، "(١٦٤٢)"، وابن خزيمة في "صحيحه"، "(١٧٨٢)"، وابن حبان، في "صحيحه"، "(٢٧٩١)"، والحاكم في "المستدرك"، "(٣٩٣/٣)"

فالاقتصاد في الموعظة والخطبة، من أهم الدعائم التي تقوم عليه الدعوة إلى الله، وهو ركيزة أساسية من ركائز الواعظ الناجح.

فعن العرباض بن سارية قال: صلى لنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم-صلاة الفجر، ثمَّ وعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله -صلى الله عليه وسلم -كأنها موعظة مودِّع فأوصنا.

فقال: أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة وإن كان عبدًا حبشيًّا، فإنَّه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ، وإيَّاكم والمحدثات فإنَّ كلَّ محدثة بدعة. وقال أبو عاصم مرة: وإيَّاكم ومحدثات الأمور، فإنَّ كلَّ بدعة ضلالة."(١)

١- أخرجه: أحمد في مسنده، بإسنادٍ حسن، في "مسند الشاميين"، حديث العرباض بن سارية، "(١٧١٤٢)" بزيادة، "(فإنما المؤمن كالجمل

الأنف حيثما انقيد انقاد)"، وانظر قول ابن رجب حول هذه الزيادة في كتابه، جامع العلوم، "(ص٤٥٤)"

وأبو داود في سننه، "(باب لزوم السنة)"، "(٤٦٠٧)" بإسنادٍ حسن، من طريق عبد الرحمن بن عمرو السلمي وحجر ابن حجر، قالا: أتينا العرباض بن سارية، وهو ممن نزل فيه: ﴿ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه﴾ [التوبة: ٩٢] فسلمنا، وقلنا: أتيناك زائرين وعائدين ومقتبسين، فقال العرباض: صلى بنا رسول الله- صلى الله عليه وسلم - ذات يوم، ثم أقبل علينا، فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله- صلى الله عليه وسلم - كان هذه موعظة مودع، فماذا تعهد إلينا؟ قال: "أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبدا حبشيا، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء، المهديين الراشدين، تمسكوا بها.

وهذا المتن نفسه: قد رواه الآجري في الشريعة، "(١/٣٩)"

ورواه الترمذي في "سننه"، في أبواب العلم، "(باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع)"، برقم،"(٢٦٧٦)" وقال حديث حسن صحيح.

وابن ماجه في "سننه" في "أبواب السنة"، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، رقم "(٦)"

ورواه أبو عبد الله الحاكم في "المستدرك على الصحيحين"، في"(كتاب العلم)"، "(٣٣٢)"

قال القاضي جمال الدين: أي وجيزة في اللفظ كثيرة المعنى.

وتذكر: قول سفيان بن عيينة رحمه الله: "إنَّ العاقل إذا لم ينتفع بقليل الموعظة، لم يَزدَد على الكثير منها إلا شراً"(١)

ورحم الله الشافعي إذ قال:

لا خير في حشو الكلام

إذا اهتديت إلى عيونه

والصمتُ أجملُ بالفتى

من منطقٍ في غير حينه"(٢)

١-انظر: "تهذيب الكمال في أسماء الرجال"، للحافظ المزي، "(١٩٢/١١)"

٢-ديوان الشافعي، "(ص١٣٦)"

[16]-أيها الخطيب: إيَّاك والتصنع في الكلام، والتكلف في الخطاب؛ فإنَّ ذلك سبب للوحشة، ومنفر للنَّفس من حصول الفائدة، كما أنه مسقطٌ للخشية.

عن عمر بن ذر أنَّه قال لوالده "يا أبي! مالك إذا وعظت الناس أخذهم البكاء، وإذا وعظهم غيرك لا يبكون؟

فقال: يا بني! ليست النائحة الثكلى مثل النائحة المستأجرة"(١)

وقال علي ابن الفضيل لأبيه: "يا أبتِ ما أحلى كلام أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم؟

قال: يا بني، وتدري بما حلا؟!

قال: لا!

قال: لأنَّهم أرادوا به الله تعالى" (٢)

١-انظر: "العقد الفريد"، "(١٤٩/٣)"

٢-الصلة لابن بشكوال،"(١٢٦/١)

وفي النهي عن التكلف، يقول تعالى: ﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ [ص:٨٩]

وفي "صحيح البخاري" عن أنس، قال: كنا عند عمر فقال: «نهينا عن التكلف»[١]

١-رواه البخاري، "(٧٢٩٣)"

[17]-أيها الخطيب: نوع من طريقة عرضك، ومن نبرة صوتك، فإن الأذن تمج الصوت الواحد، فارفع الصوت في وقته، واخفضه في وقته، ففي الشدة شُدَّ من صوتك، وفي اللين خفف من نبرتك، فهذا أدعى للقبول.

فينبغي أن يكون صوتك: "بعيداً عن التمطيط، بعيداً عن الخيشوم -أي لا يخرج من الأنف-، ألا يكون منخفضاً، ولا يكون عالياً مرتفعاً، والأسلم الوسطية ومراعاة الشخص السامع فلو كان كبيراً كان الصوت أرفع بخلاف لو كان السامع شاباً ولو اجتمعوا سويًا فالتوسط والاتزان هو المطلوب"

وقد أثبتت الدراسات أنَّ الصوت ينقل من المعلومات ويأثر في نفس السامع بنسبة "٣٨%"

ثم اعلم بإنَّ هذا يعرف "بلغة الصوت"، ودليله قوله تعالى: ﴿ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ

صَوْتَكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾ [لقمان:١٩]

[18]-أيها الخطيب: ما هو أثر خطبتك في الناس؟

وما مقدار الفائدة؟

وماذا أنتجت من خطبتك؟

هل فكرت وسعيت أن تكون الفائدة حقيقية لا فائدة شكلية عابرة؟ فبعض الخطباء ليس له نية ولا يفكر في هذا، وإنَّما غايته أن تنتهي الخطبة، ويقضي ما كُلِف لأجله، والله المستعان.

[19]-أيها الخطيب:[1] عليك باستخدام الأساليب الدعوية الناجحة، فإنَّ الدعوة إلى الله تعالى تقوم في أساسها على أساليب مرغبة، وطرق نافعة في جذب الناس نحو ما فيه خير لهم في الدنيا والآخرة.

وهذه الأساليب، وتلك الطرق، هي أساليب نبويَّة، فعلها النبي صلى الله عليه وسلم، وحث الناس عليها، ومن هنا يتأكد لزاماً على الداعيَّة إلى الله، والواعظ الناجح، والخطيب المفوه، وجوبِ قراءة السيرة النبوية، ومطالعة السياسة الشرعية؛ فهي من خير السبل، وأنفع العلم في إنجاح تطبيق تلك الأساليب بدون كلل أو حرج أو ملل.

وبهذا يعلم أنَّ الدعوة إلى الله وحده لا شريك له، فرض لازم بحق أهل العلم على وجه الخصوص، لأنهم من أعلم الناس بمدارك الدعوة وما يتعلق بها.

١-انظر: كتابي "الدر البهية بذكر الأساليب التي يحتاجها الداعية"

ومن تلك الأساليب: "أسلوب الترغيب والترهيب، أو النصح بطريقة مناسبة كالنَّصحِ بشكلٍ سري أو علني وذاك حسب الحاجة وبحسب حال من يدعوهم، أو بطريقة القصص والحكايات الصحيحة الموثقة البعيدة عن الأكاذيب والأباطيل المخالفة للقرآن أو السنة، أو بعدم الإكثار من الخطب خشية الملل والنفور إلا لوجود حاجة أو حلول واقعة ونازلة فلا بئس بذلك.

[20]-**أيها الخطيب**: راعِ عقول النَّاس، واحترم فكرهم، وقدر مستوياتهم وثقافتهم، فبعض الناس يتكلم بكلام يفهمه الصغير قبل الكبير، وبعضهم يكون الأمر بالعكس، فينبغي أن تعلم مستوى من تخطب بهم، لا سيَّما إذا كنت خطيباً دائماً، وإذا كنت خطيباً متنقلاً فليكن مستوى الخطبة وسطياً معتدلاً فلا تبالغ في البيان والإسهاب، ولا تنزل إلى العامية والاختصار.

[21]-أيها الخطيب: راعِ استخدام الحركات المؤثرة المصحوبة مع نبرة الصوت، المرافقة للموقف الذي تعيشه، المبينة للموضوع الذي تتحدث عنه، فلها تأثيرٌ في النفوس، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يستخدم يديه، وربما خطى على الأرض، وربما أحمَّر وجهه الشريف، وكل ذلك بحسب الحال والموقف، فمن الحركات ما تكون لقصد الإيضاح، كحديث "إذا أقبل الليل من هاهنا" فيستخدم الخطيب يده ويشير إلى الجهة لتقريب المعنى.

ومنها ما يكون من الخطيب بغية التقريب باستخدام الأصابع للعدد، كحديث، "اعدد ستاً بين يدي الساعة"، أو حديث "السبعة الذين يظلهم الله في ظله"، أو "حديث شعب الإيمان"، أو حديث "علامات النفاق"، وهكذا.

قال تعالى ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ [البقرة:١٩]

وقال: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾

وفي الآيتين ضربَ الله بهما أروع الأمثلة، وبين دور كلاً من الأصابعِ واليدين وعبر عنهما تعبيراً قوياً قويماً.

ولهما دور كبير في إيصال المعلومات، ونقل الإيحاءات وتعبير عن أهمية الموضوع ودقته؛ كما لها دورٌ لإيصال المعلومات لمن فقدوا حاسة السمع.

ولهذا هناك لغة تسمى بلغة "الإشارة" وهي فرع من فروع لغة الأصابع.

فيا أيها الخطيب: إذا كان التاجر الدنيوي يسعى إلى تحسين بضاعته حتى يرغب الناس في شرائها والإقبال عليها، فإن الداعية الرباني، والواعظ الناجح واجبٌ عليه أنْ يحسن من أساليبه في خطابه للناس، حتى يرغبهم في دين الله.

وإذا كان التاجر ينوع في انتقاء عباراته، وتغيير حركاته، حتى يجذب الزبون إليه، فإنَّ الداعية والواعظ دلالٌ يدل الناس على الله، فهو أحوج الناس إلى تلك الأساليب والعبارات.

فكن رعاك الله ممَّن يؤثر بغيره مراعياً جميع الوسائل المشروعة.

وهاك مثالاً مهماً في ذلك، ففي "صحيح مسلم"، عن جابر بن عبدالله قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب احمرت عيناه، وعلا صوته، واشتد غضبه حتى كأنَّه منذر جيش يقول: صبحكم ومساكم

ويقول: بعثتُ أنا والساعة كهاتين ويقرن بين أصبعيها لسبابة والوسطى ويقول: أمَّا بعد: فإنَّ خيرَ الحديث كتاب الله، وخيرَ الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكلَّ بدعةٍ ضلالة"[١]

وقال الكرماني: "قيل معناه: الإشارة إلى قرب المجاورة، وقيل: إلى تفاوت ما بينهما طولاً، وعلى هذا فالنظر في القول الأول إلى العرض، وقيل المراد ليس بينهما واسطة ولا معارضة بين هذا"[٢]

ففي الحديث:

أنَّه كان يحمر وجهه وهذا علامة على تأثره في الخطبة، مما يؤثر في صحابته الكرام، حتى صار ذلك وصفاً له.

١-برقم، "(٨٦٧)"

٢-فتح الباري، "(٣٥٠/١١)"

والثاني: إشارته بأصبعه الشريف مما يدل على أنه كان يستخدم الإشارة، في الخطبة، وذلك أبلغ في التأثير وإيصال المراد للسامع.

هذا ما جال ببالي وابتعدت عن السرد الموضوعي المرتب لأنه خواطر تسللت من قلبي إلى دفتري، كتبتها بعد أن حضرت خطبة لخطيب شعرت بالهم والغم، وأصابني بذلك ما جعلني بعد عودتي أن أباشر بكتابة هذه النصائح التي صاحبها وكاتبها أحوج الناس لها، فاللهم استرنا وارحمنا واجعل عملنا لوجهك خالصاً ولا تجعل فيه لأحد من خلقك شيئاً.

وكتب: أبو إسحاق محمود بن أحمد الزويد.

٢٥ رجب ١٤٤١هجري.

٢٠ أذار ٢٠٢٠إفرنجي"[١]

١–وأضفت بعض التعليقات لاحقاً بحمد الله.